



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

صورة البخيل في الشعر العربي

إلى مجلس كلية التربية الأنسانية – قسم اللغة العربية – جامعة بابل وهي جزء

من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

من قبل الطالبة

غدير هلال كاظم

اشراف

د. احمد رشيد وهاب جاسم

2024 م

1446 هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا

لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ

مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

آل عمران الآية 180

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب السيرة العطرة، والفكر المستنير فلقد كان له الفضل في اكمال

دراستي والدي الحبيب أطال الله في عمره

إلى نبع الحنان والدتي الحبيبة ربي يحفظها ويرعاها

إلى إخوتي

إلى جميع أساتذتي الكرام واطص بالذكر الدكتور أحمد رشيد وهاب جاسم

جميعا أهدي إليكم بحثي

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، تبارك وتعالى، له الكمال وحده والصلاة والسلام
على سيدنا محمد نبيه ورسوله الامين "صلى الله عليه وآله وسلم" وعلى
سائر الأنبياء والمرسلين واله الطيبين الطاهرين ...

أحمد الله تعالى الذي بارك لي في إتمام بحثي هذا ... اما بعد

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى والدي حفظهما الله كما أتقدم بجزيل
الشكر وخالص الامتنان إلى الدكتور أحمد رشيد وهاب جاسم وأتقدم بالشكر
والتقدير الى اساتذتي الكرام في جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الانسانية
- قسم اللغة العربية واخص بالذكر اعضاء لجنة المناقشة.

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوعات
أ	الاية
ب	الاهداء
ت	الشكر والتقدير
ث	المحتويات
1	المقدمة
2	التمهيد
المبحث الاول	
4	صورة البخيل في الشعر الجاهلي
المبحث الثاني	
8	صورة البخيل في الشعر الاسلامي
المبحث الثالث	
11	صورة البخيل في الشعر الاموي والعباسي
17	الخاتمة
18	المصادر والمراجع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نبي الرحمة محمد" صلى الله عليه وآله وسلم " وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين. اما بعد فقد مجد العرب على مر التاريخ خلق الكرم، وعدوه من الخصال الاساسية في حياتهم، وانعكس ذلك في شعر شعرائهم الذين تغنوا بهذا الخلق، وزخرت دواوينهم بمدح الجواد الكريم. ودم البخيل الشحيح، فصفة البخل من الصفات التي تكسب صاحبها العار واللوم عندهم.

وفي هذا البحث تناولنا دراسة البخيل على مر العصور الاربعة من العصر الجاهلي للعصر العباسي، حيث نجد ابرز الابيات الشعرية لشعراء كبار في الشعر العربي، ففي العصر الجاهلي تناولنا ابيات للشعراء(عروة بن الورد، عمرو بن الاهتم، الاعشى، حاتم الطائي). في عصر صدر الاسلام تناولنا ابيات للشعراء (ابو الطيب المتنبي، ابو العتاهة، البحتري، بشار بن برد، محمد الوراق).

وفي العصر الاموي تناولنا ابيات شعرية للشعراء(الاخطل، المقنع الكندي، صخر ابن اعبي). واخيرا العصر العباسي وهو اخر العصور عرضنا بعض الأبيات الشعرية لأبرز الشعراء وهم(ابو نواس، دعبل الخزاعي، العطوي).

ويعد البخل سمة متأصلة في النفس البشرية عانت منها المجتمعات على مر العصور إذ لم يخل مجتمع من هذا الصنف من الناس غدت هذا النوع من الشعر، ووظفته للطعن في بعضها كما فعلته الشعوبية مع العرب فأكثر ما وصل كان نقلا لأخبار الأجواد والبخلاء المشهورين، ككتابي البخلاء للجاحظ، والبخلاء للبغدادي.

التمهيد

مفهوم الصورة

الصورة لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور , مادة (ص .و .ر) الصورة في الشكل, والجمع صور , وقد صوره فتصور , وتصورت الشيء توهمت صورته , فتصور لي , والتصاوير: التماثيل.

قال (ابن الأثير) : الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها , وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته , وعلى معنى صفته , يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته , وصورة كذا وكذا أي صفته (١)

الصورة اصطلاحاً: إنَّ الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة الشعرية في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن , وإنَّ كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير – كما أسلفت – لأنَّ الدرس النقدي العربي كان يحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة. أما الصورة الشعرية - كمصطلح نقدي- الذي يُعنى بجماليات النص الأدبي قد دخل النقد العربي في العصر الحديث تأثراً بالدراسات الأدبية الغربية , ومسايرة لحركة التأثير والتأثر التي عرفتھا الآداب العالمية وهو يتطور فيحركية دائبة نحو الكمال , أخذ بقدر ما أعطى , وهذا ليس عيباً بقدر ما هو سعيٌّ نحو المعاصرة ومحافظة على الأصالة و التميز. العربي وهو يتطور في حركية دائبة نحو الكمال , أخذ بقدر ما أعطى , وهذا ليس عيباً بقدر ما هو سعيٌّ نحو المعاصرة ومحافظة على الأصالة و التميز. لقد ركزت أكثر التعريفات النقدية للصورة على وظيفتها ومجال عملها في الأدب , ويلاحظ الأستاذ " الدكتور أحمد علي دهمان " أن « مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة السريعة التحديد , وإنما هناك عدد من العوامل التي تدخل في تحديد طبيعتها : كالتجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك والتشابه والدقة ... فهي من القضايا النقدية الصعبة, ولأنَّ دراستها (الصورة) لا بد أن تُوقَّع الدارس في مزلق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية »(٢)

(١) الغموض في الشعر العربي: إبراهيم رماني _ ديوان المطبوعات الجامعية _ الجزائر د. ت ص ٨٥.

(٢) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهاجاً وتطبيقاً, احمد علي دهمان _ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر _ دمشق ط ١ _ ١٩٨٦ _ ص ٢٦٩ _ ٢٧٠.

مفهوم البخل

البخل لغة: هو (البخل والبخول : ضد الكريم ، وقد بَخَلَ بَخْلًا وبَخْلًا فهو باخِل : نو بخل، والجمع بخال وبخلاء ، والمنخلة : الشيء الذي يحملك على البخل) (١)

البخل اصطلاحاً :

عرفه الراجب الأصفهاني : (البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه) (٢) وعرفه ابن حجر العسقلاني : (البخل هو منع ما يُطلب مما يقتنى ، وشره ما كان طالبه مستحقاً) (٣) وبين الحق جل وعلا أن البخل لا يعود ضرره إلا على أهله فقال عز من قائل: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (٤)

تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مِيرَاثِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٥) وقال : به خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا مِنْ فَضْلِهِ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ . وقد نفر الرسول صلى الله عليه وسلم من البخل واستعاذ منه حيث يقول : (اللهم إني أعوذ بك البخل والجبن وأعوذ بك أن أورد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر) (٦)

والبخل صور شتى منها : البخل بالمال والمقتنيات ، والبخل بالنفس بأن لا يقدمها في سبيل الله تعلقاً بالدنيا ، البخل بالجاه فيبخل صاحب الجاه أن يقدم المساعدة لمن يحتاجها ، البخل بالعلم حيث يكتم صاحب العلم علمه لا علم ولا ينصح ولا يوجه (٧).

(١) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، (٣٣٢/١) مادة (بخل)، ط(٣) ١٩٩٩م، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

(٢) مفردات الفاظ القرآن، الزاغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (١٠٩/١)، ط(٤) ٢٠٠٩م، دار القلم دمشق.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن محمد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (٤٥٧/١٠)، ط(١) المكتبة السلفية القاهرة.

(٤) سورة محمد الاية (٣٨)

(٥) سورة ال عمران الاية (١٨٠).

(٦) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل، ص١٥٨٨، حديث الرقم ٦٣٧٠، ط١، ٢٠٠٢م، دار ابن كثير دمشق .

(٧) موسوعة الدرر السنوية المشرف العام عليوي عبد القادر السقاف، موسوعة الاخلاق

المبحث الاول

صورة البخيل في الشعر الجاهلي

ان الشعر الجاهلي وثق الصلة بحياة الجاهليين، وعاداتهم واخلاقهم، ومعارفهم، فهو يمثلها اصدق تمثيل، مما تزال مصادر الشعر الجاهلي صورة ناطقة ببلاغتهم، وشدة ولايجعلة سجلا لتاريخ قبل الاسلام تأثيرهم وجلال اثرهم، في حياه العرب في جزيرتهم طوال العصر الجاهلي.

وكان الحديث عن الجود والبخل يحتل مكانه كبيره من بين مواضع شعرهم، فالبخل بوصفه ظاهره اجتماعيه كانت _ولا تزال _تعد في عرف المجتمعات العربية والاسلامية من ارذل الصفات واشدها وقعا على النفوس، لذا فقد كان الكريم المعطاء مقصد المادحين من الشعراء وغيرهم من ذوي الحاجات، وكان البخلاء من ذوي الجاه والثراء اكثر تعرضا لسخط الساخطين وهجائهم، وقد نخرت دواوين الشعراء في العصر الجاهلي وما بعده بتمجيد الكرم وذم البخل، فان البخل عار على الفرد والقبيلة، وهو سلاح حاد يصيبه الشاعر على المهجو، و وسيلة فعالة في مواجهه الخصوم.

عمرو بن الأهم (١) يذم البخيل ويطلب من زوجته الاتدعوه اليه ويبشع صورته قائلا:

ذريني فإن البخل يا أم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق

ذريني وحطي في هواي فإنني علي الحساب الزاكي الرفيع شفيق

وإني كريم ذو عيال تهمني نوابغ يغشى رزؤها وحقوق(٢)

يدعو الشاعر زوجته ان تتركه ولا تدعه الى البخل والامساك، لان البخل سيسلبه كل الاخلاق الحميدة التي يعرف بها الرجال مستخدما الاستعارة المكنية حيث جعل البخل سارقا لاخلاق الرجل ويقصد بهل الكرم وربما جعل البخل مفتاحا لضياح كل اخلاق الرجل التي تتفقد بوجوده، مبديا المعنوي في صورته الحسي بان صير الاخلاق تسرق، وما زال يخاطب زوجته ان تدعه ولا تزين البخل الى نفسه لانه

(١) هو عمر بن سنان سمي بن سنان من بني تميم سمي ابوه بالاہتم لانه ضرب فہتم فمہ وآل الاہتم خطباء، وهو جہالي اسلامي وهو الذي قال له الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): (ان من البيان لسحرا)، وهو شريف شاعر كان شعره حلا منشره.(الشعراء والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، (٢/٦٣٢)، ط(٢) ٩٨٢م دار المعارف القاهرة.

(٢) ديوان الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم تحقيق د. سعود محمود ص ٩٢، ط(١) ٩٨٤ مؤسسه الرسالة بيروت لبنان نو عيال يعني الوفود من الاضياف والطلاب من العشيرة والجبران تهمني تقلقني وتخزني رزوها ومصابها الزكي النامي.

يخشى على حسبه الذي هو أمين عليه حريص مشفق أن يكون مضيعاً له ، وأنه كريم على الوفود والأضياف يعينهم على مصائب الدهر ويقوم بحق الضيف عليه .

اسلوب عمر بن الاثم: استخدم الاستعارة المكنية حيث جعل البخل سارقاً لأخلاق الرجال ويقصد بها الكرم وربما جعل البخل مفتاحاً لضياع كل اخلاق الرجال التي تتفقد بوجوده.

يقول عروة بن الورد (١) يعير خصمه بالبخل ويفتخر بالكرم:

إني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

اتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بوجهي شحوب الحق، والحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد (٢)

أراد الشاعر أن يفخر بكرمه ويُعير خصمه بالبخل ، فصور ذلك تصويراً بديعاً أبرز فيه الدليل على كرمه، حيث أوضح أنه يملأ إناؤه لبناً حتى يفيض ويكثر فإن طرقة إنسان وجده مهيا له وكان شريكاً له فيه ، واستدل على ذلك بأنه هزيل وأضيافه يسمنون ، فهو يقسم طعامه على محاييج قومه ومن يلزمه ، وعلى ضيفانه ، وأما هو فيشرب الماء البارد الصافي فقط ، أما خصمه فيستأثر بإنائه لنفسه دون أضيافه فيشبع هو ويجوعون ، فهو على الضد منه ومن أضيافه .

أبداع الشاعر في استخدام المجاز المرسل بعلاقته المحلية حيث ذكر الإناء وأراد ما به ما بداخله من لبن ونحوه مما يكرم به ضيفانه ، كما أن في استخدامه للطباق شركة – واحد) توضيح وجلاء للمعنى ، ثم التصوير البديع باستخدامه للاستعارة المكنية حيث شبه جسمه بالشيء الذي يُقسم ويجزأ ، وهو يريد أنه يقسم طعامه الذي يجيب ان يطعمه على اهله وضيفانه، فكأنه يأخذ من جسمه ويضيف الى اجسامهم وهو معنى دقيق فيه من القوه ما يدل على ان الكرم عنده ليس مجرد اطعام وإنما هو وجود بحب وطيب نفس، وهو يفعل ذلك في وقت الشتاء الذي يكون الانسان فيه

(١) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي، من شعراء الجاهلية وفرسانها واجوادها، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، له ديوان شعر مطبوع شرحه ابن السكيت توفي ٥٩٤م. (الإعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، (٤/٢٢٧).

(٢) ديوان عروة بن الورد والسموال، دار صادر بيروت لبنان ص ٢٩.

أحوج إلى الطعام ، فيحرم نفسه ويكتفي بالماء الصافي البارد ، وفي تقييده للماء بهذه الصفة ما يعضد فخره بالكرم ، فهو كريم حتى في أكثر الأوقات حوجة إلى الطعام وهو الشتاء.

اسلوب عروة بن الورد: ابداع الشاعر في استخدام المجاز المرسل بعلاقته المحلية حيث ذكر الاناء واراد ما به وما بداخله من لبن ونحوه مما يكرم به ضيفانه، كما انه في استخدامه للطباق (شركه_واحد) توضح وجلاء للمعنى، ثم للتصوير البديع باستخدامه للاستعارة المكنية حيث شبه جسمه بالشيء الذي يقسم ويجزأ.

قال حاتم الطائي على لسان زوجته :

وقائلة أهلكت بالجود مالنا ونفسك ، حتّى ضرّ نفسك جودها
فقلت دعيني ، إنما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدها (١)

كانت النساء تخشى من كرم أزواجهن ظناً منهن أنه مهلك للمال والنفس ، فرد حاتم على زوجته أن اتركيني فإن الجود لي عادة لا استطيع التخلي عنه . والبيت فيه من جمال التصوير بالاستعارة المكنية بالتشخيص حيث جعل الجود من المهلكات التي تستنفد المال والنفس ، كما أن أسلوب القصر قد وضح لنا أن صفة الجود مقصورة على حاتم فهي عادته ولا عادة له غيرها والبيت فيه من رد العجز على الصدر ما أعطى الأبيات جرساً من سبقنا إضافة إلى دقة المعنى وتأكيده .

اسلوب حاتم الطائي: استخدم الاستعارة المكنية بالتشخيص حيث جعل الجود من المهلكات التي تستنفد المال والنفس ، كما أن أسلوب القصر قد وضح لنا أن صفة الجود مقصورة على حاتم فهي عادته ولا عادة له غيرها.

(١)ديوان حاتم الطائي، شرح يحيى بن مدرك الطائي، تحقيق د. حنا نصر الجتي، ص٤٦.

ويسخر الأعشى (١) من البخيل الذي يفزع عندما يرى زائراً يحل عليه ، فيقول:
إذا زاره يوماً صديق كأنما يرى أسداً في بيته وأسوداً (٢)

يوضح الشاعر ما يحسه البخيل عندما يطرقه زائر يحل عليه من فزع وهلع، خوف الإنفاق على ضيافته وإكرامه ، فيشبهه خوفه هذا خوف من يجد في بيته أسداً أو نوعاً قاتلاً من الحيات . وقد صور الشاعر ذلك عن طريق التشبيه البديع لإظهار مدى الخوف والرعب الذي يحسه البخيل.

اسلوب الاعشى: استخدم التشبيه البديع لإظهار مدى الخوف والرعب الذي يحسه البخيل.

وقد تبين لنا بعض الأمور عن دراسة البخيل في هذا المبحث:

البخل ظاهرة اجتماعية ذات تأثير واضح في الشعر الجاهلي، تناول الشعراء الجاهليين ظاهرة البخل بكثرة في أشعارهم و جعل البخل في المجتمع الجاهلي وسيلة للنيل من القبيلة والتقليل من قدرها بين القبائل . اتصف البخل بكافة صورته في الشعر الجاهلي بأنه خلق مذموم وشائن يُكسب صاحبه اللوم والعار، ظهر البخل في المجتمع الجاهلي لدى النساء والرجال على حد سواء واستخدم الشعراء ألفاظاً ذات دلالة واضحة على البخل إلا في بعض الأحيان . عبر الشعراء الجاهليون عن البخل على حسب ما كان سائداً في مجتمعاتهم الجاهلية من تقبيح لهذه الصفة واستطاع الشعر الجاهلي أن يُعبر عن ظاهرة البخل ، بصورة دقيقة وواضحة من كافة جوانبه على اختلاف صورته .

(١) الاعشى كنيته أبو بصير واسمه ميمون بن قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية

وممن قدم على سائرهم اول من سأل بشعره، سمي صناجه العرب لجوده شعره، ادرك الاسلام في اخر عمره ولاكنه لم يسلم القاه بعيره فقتله بناحيته اليمامه خزانه الادب لب لبايب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون (١٧٥/١_١٧٦)، ط(٤) ١٩٩٧م، مكتبة الخانجي القايرة.

(٢) ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين، ص ٦٥ ، مكتبة الآداب الجماميز، المطبعة النموذجية اسودا جمع اسود وهو نوع قاتل من الحيات.

المبحث الثاني

صورة البخيل في الشعر الاسلامي

ومع بزوغ فجر الاسلام، وما ضمه القرآن الكريم والسنة النبوية من آيات وأحاديث تنفر من البخل وتحث على الجود، بدأت مظاهر هذه الآفة بالانحسار، ومن الآيات التي نفرت من البخل واهله قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (١)

يدعو الامام علي "عليه السلام" الى البذل وينهي عن البخل (٢):
وإن تكن الأرزاق حظاً وقسمه فقله حرص المرء من الكسب أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به الحر ينخل
وعبر الامام علي "عليه السلام" عن موقفه من البخلاء في قوله (٣):
وكم رأينا من ذوي ثروة لم يقبلوا بالشكر إقبالها
تاهوا على الدنيا بأموالهم وفيدوا بالبخل اقبالها

فلم يشكروا الله على نعمه التي وهبهن إياهم، بل بخلوا على غيرهم فأغلقوا أبواب الخير عن مستحقيها، وهو بذلك يتمثل خلق الإسلام وقيمه التي تدعو الى البذل والشكر الله على نعمه

وقال الامام علي "عليه السلام" أيضا في البخل (٤):
إذا اجتمع الآفات فالبخل شرها □ □ وشر من البخل المواعيد والمطل
وينقر البخل والمطل في المواعيد، وعادا ذلك شر الآفات واعظمها.

(١)سورة ال عمران: الآية ١٨٠.

(٢) ديوان علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ص ١٢٩.

(٣) ديوان علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ، ص، ١٢٧.

(٤) ديوان علي ابن ابي طالب ، شرح عبد الرحمن المصطفاوي، ط١،بيروت، دار المعرفة، ص١٢٨،المطل: التسوية الشوية في الوفاء بالوعد لسان العرب مادة مطل.

يصف البحترى حال البخيل وقد ادى به بخله الى الجفاف حتى بات يعوم فوق الماء
فلا يغرق (١):

جفوا من البخل حتى لو بدا لهم ضوء السها في سواد الليل لا حترقوا
لو صافحوا المزن ما ابتلت اكفهم ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا
الباخلون إذا ما مازن بذلوا والمفحمون إذا ما راسب نطقوا

ولأبي الطيب المتنبي وقفه مع البخل في قصيده هجاء كافور (تعرفوا على قصه
المتنبي وكافور)، حيث يأنف المتنبي النزول ببخيل لن يقدم له إلا مخ النعام، وقيل
أنه استخدم هذا التشبيه لان النعام بلا مخ! فيقول ابو الطيب:

ولا أمسي لأهل البخل ضيفا وليس قرى سوى مخ النعام
ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه لعلمي انه بعض الانام (٢)

يقول ابو العتاهة عن البخل:

ليخل امرؤ دون الثقاب بنفسه □ □ فما كل موثوق به ناصح الجيب (٣)

(١)ديوان البحترى، ص ٦٧.

(٢)ديوان ابو الطيب المتنبي، ص ٩٥.

(٣)ديوان ابو العتاهة، ص ٦٢.

ويقول ابو العتاهة أيضا:

لو رأى الناس نبيا سائلا ما وصلوه
انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
فإذا احتجت اليه ساعه مجك فوه (١)

يقول محمد الوراق:

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم العون للزمان
لا تخضعن فإن دهرك إن يرى منك الخضوع امده بهوان (٢)

ويقول بشار بن برد ايضا:

اما البخيل فلست اعذله كل امرى يعطي على قدره
اعطى البخيل فما انتفعت به كذلك من يعطيك من كدره (٣)

(١) ديوان ابو العتاهة، ص ٦٣.

(٢) ديوان محمد الوراق، ص ٣٠.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ٢٧٠.

المبحث الثالث

صورة البخيل في الشعر الأموي والعباسي

شعراء العصر الأموي

ان الشعر العربي قد تطور في العصر الاموي بسبب مجيء الدين الاسلامي وبسبب تفاعل المسلمين مع الحضارة الفارسية والرومانية فتغيرت العادات والتقاليد الجاهلية حيث رأينا اهل المدن قد اختلفوا عن الجاهليين في نظرتهم للكرم والبخل حيث كان الجاهليون كرماء واهل المدينة لا يعتدون بشيم الكرماء في معاملاتهم وتواصلهم المجتمعي.

قول صخر ابن أعيى في الحطيئة (١):

ألا قبح الله الحطيئة إنه على كل ضيف ضافه فهو صالح (٢)

دفعت اليه وهو يخنق كلبه ألا كل كلب -لا أبا لك -نابح

بكيت على مذاق خبيث قريته ألا كل عبي على الزاد شائح (٣)

فهو يخنق كلبه كي لا ينبح فيحضر الضيوف لبيته، ويبيكي على الطعام البسيط الذي يقدمه لضيوفه مكرها (وكان الطعام الذي قدمه هو اللبن المخلوط بالماء).

قول الأخطل يهجو قوم جرير:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمم بولي على النار

فتمنع البول بخلا أن تجود به وما تبول لهم إلا بمقدار (٤)

(١) صخر بن أعيى الاسدي، شاعر اموي، كانت له مع الحطيئة مساجلات شعرية، وقال هذه الابيات ردا على قول الحطيئة. الاصبهاني، ابو الفرج: الاغاني، شرح علي مهنا، بيروت، دار الفكر، (د. ب)، ١٦٥/٢.

(٢) السلح: النجو، اخراج ما في البطن بالغائط. لسان العرب مادة سلح.

(٣) الاصبهاني: الاغاني، ١٦٥/٢. المذاق: اللبن الممزوج بالماء.

شائح: حذر. لسان العرب، مادة مذاق وشيح.

(٤) الاخطل: غياث بن غوث: الديوان، تحقيق مهدي ناصر الدين، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤، ص١٦٦.

تحمل هذه الأبيات وصفا ساخرا لأفعال وأحوال وتصرفات أبناء القبيلة حين يتناولون طعامهم، فهم حين يسمعون صوت كلابهم تنبح عند اقتراب الضيوف، يسارعون للطلب إلى نساءهم أن تبول على النيران لتطفئها، والنار مظهر من مظاهر الكرم عند العرب، ومما يزيد من قوة التصوير والمبالغة في وصف بخلهم، أن نساءهم لا تبول إلا بمقدار ما يطفئ النار؛ حرصا على بولها وهي صورة ساخرة لبني تغلب أحسن الاخطل في رسمها.

اسلوب الأخطل: استخدم الشاعر السخرية لوصف بخل قوم الحرير وقد احسن في رسم صورته مبالغة في تصوير بخلهم.

قول المقنع الكندي في البخل والبخلاء (١):

إني أحرص أهل البخل كلهم لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
والمال يرفع من لولا دراهمه أمسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفوا من أكفهم إلا على وجع منهم وتمريض
كأنها من جلود الباخلين بهل عند النوائب تحذى بالمقاريض (٢)

فالأموال ترفع أصحابها الذين لا يبخلون بها على السائلين، لا كأولئك الذين يخزنونها ولا تخرج منهم إلا وهم يتألمون، ويصور خروجها منهم كقطع جلودهم وأجسادهم، وهي مشاعر نفسية يعاني منها البخلاء في كل عصر.

أسلوب الكندي: استخدم التصوير لتثبيبه بخلهم كأنهم يقطعون جلودهم واجسامهم عند خروج المال منهم.

(١) محمد بن عميرة الكندي، (ت نحو ٧٠هـ) ولد في حضر موت، كان مقنعا، لذا لقب بالمقنع، لان القناع كان من صفات الرؤساء، وقيل انه كان جميلا، وكان مقلا جوادا كريما حتى اتلف كل ما خلفه ابوه من مال. انظر الصفدي، صلاح الدين: الوفيات بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط، و تركي مصطفى ط، بيروت دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠، ١٤٨/٣_١٤٩. وانظر الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢، ٣١٩/٦_٣٢٠.

(٢) الاصبهاني: الاغاني، ١١٤/١٧_١١٥.

تحذى: تقطع، المقاريض: واحدها مقرض وهو ما يقطع به، لسان العرب، مادة حذو وقرض.

شعراء العصر العباسي

تعددت اشكال البخلاء في المجتمع العباسي شأنه في ذلك بقية المجتمعات البخل سجية متأصله في النفس الانسانية، ولعل اقوى دوافعه الخوف من الفقر والحاجه، والخوف هذا دفعهم لتمجيد الدرهم والاموال والحرص على خزنها، فغدا المال في هذا العصر مقصدا يتوسل الناس اليه، ومطلبا يسعون للحصول عليه بثتى الوسائل بل ولا يبالي الكثير منهم بجمعه وتخزينه حتى ولو كان جمعهم له بطرق محرمة او خبيثة وذلك بفعل تعقد الحياة الاجتماعية، وظهور طبقة الاغنياء التي تعد اكثر الطبقات حرصا على اموال والمقتنيات، ونشطت هذه الفئة في البصرة وبغداد.

يقول العطوي في حب المال (١):

دع الرباء لمن لج الرباء به في الأمر بالبذل وانكر ذلة العدم
ومت على الدرهم المنقوش موت فتى رأى الممات عليه أكرم الكر
لولا عناك لكنت الكلب عندهم فإن أبيت فجرب واشق بالندم

ومن الناس من يقوده عشقه للمال والنعم واكتنازه إلى البخل، فبدال من أن يتخذه وسيل إلى سعادة دنيوية أو دينية، يجعله مصدرا لشقائه، فهو يضمن به على نفسه وأهله، وهذا مرض نفسي يشقى صاحبه ويورده المهالك، فصاحب هذا المال الذي يرى فيه غايته، يكدح في جمع المال واكتنازه، ويمنعه عن الآخرين، سرعان ما يضمه الوارث ويتمتع به، ويقول العطوي مؤكدا هذا المعنى:

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مقذرا أي ناب فيه يعلقه
جمعت مالا هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقة
المال عندك مخزون الوراثة ما المال مالك إلا يوم تنفقه (٢)

(١) بهجه المجالس، القرطبي، يوسف بن عبدالله، تحقيق محمد مرسي، بيروت دار الكتب العلمية، ط١٩٨١، ج١، ص٢٠٤.

(٢) خزانه الادب لسان العرب العربي، عبد القادر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٤، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ص١٦٥.

فهؤلاء البخلاء يرون في المال القوة القاهرة التي يمكن أن تصنع المستحيل، وهو ما يبرر عندهم البخل والتقتير والخوف من الفقر، والهلع من المستقبل وما سيأتي به دفع بعضهم إلى الحث على البخل.

يقول دعبل الخزاعي في البخل (١):

استبق ود أبي المقاتل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه أو كسر عظم من عظامه
وتراه من خوف النزيل به يروع في منامه
فإذا مررت ببابه فاحفظ رغيك من غلامه

في مقطوعة للشاعر دعبل الخزاعي يتعرض فيها ألد البخلاء بدءا بالطلب ممن يتحدث معه عن ذلك البخيل فيما لو أراد الأكل من طعامه فيأمره بأن عليه استبقاء ود البخيل من خلال الرفق بالأكل ، ألن الموت أسهل – لديه – من مضغ ضيفه الطعام وابتلاعه اللقم واحده تلو الاخرى، ولاسيما حين تكون تلك العملية (الاكل) امامه وتحت ناظريه ثم يبدأ الشاعر بكلامه الساخر حول ذلك البخيل من خلال وصفه وصفا دقيقا لتعامله مع الضيف فهو من شده خوفه من قدوم الضيف عليه كان يرى ذلك يتحقق في احلامه فينهض خائفا لئلا يكون ذلك حقيقيا فضلا على ان الضيف حين يقوم بكسر الرغيف امامه فكأنه كسر عظم من عظامه في اشاره الى الالم الشديد الذي ينتج له عن كسر ذلك الرغيف ثم يعود الشاعر الى اسلوبه الذي ابتدأ بيه النص واعني به الطلب فنراه ناهيا متحدثه عن كسر رغيف البخيل إذا كان يرغب في حديث البخيل معه ثم عليه أن يحفظ رغيفه من علام البخيل إذا ما مر يوما يقرب بابيه لأنه سيأخذه منه حتما.

أسلوب دعبل الخزاعي: صور لنا البخيل في مقطوعة هزليه نقلت لنا بصدق نفسيه البخيل القبيحة ومعاناته الازلية التي لا تنتهي الا بانتهاء حياته.

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة: الدكتور عبد الكريم الاشر، دمشق ١٩٦٤، ص ٢٢٦.

يقول أبو نواس في البخيل (٤):

رأيت الفضل مكتتبا يناغي الخبر والمنكا

فقطب حين أبصرتي وتكس رأسه ويكي

فلما أن حلفت له بأني صائم ضحكا

يتحدث أبو نواس عن احد البخلاء اذ وصفه بانه كان مكتتبا في الوقت الذي كان فيه يناغي الخبر والسك وقد ظهر عليه الانزعاج حين رأى الشاعر مقبلا عليه وما كان منه الا تنكيس رأسه والبكاء فلما حلف له الشاعر بأنه صائم ضحك ذلك البخيل وعادت علامات السرور على وجهه وعلى الرغم من قله الابيات في قول ابي نواس وسرعه تفعيلات البحر الذي نظمت فيه نجد زخما كبيرا من الصفات السلبية التي وصف بها الشاعر شخصيه ذلك البخيل فالإكتاب وتقطيب الحاجبين كناية عن عدم الفرح بقدم الضيف في وقت الطعام وتنكيس الراس والبكاء كلها صفات تدل على المهانة وقلة القدر لدى ذلك البخيل فهو يهدر كرامته من اجل الحفاظ على اللقمة من ان يمسخها ضيفه الامر الذي يدعو الضيف الى القسم كذبا بانه صائم يتخلص من الحرج امام سيل الغضب الذي يظهر في وجهه البخيل.

نجد في ابيات ابن الرومي التي يتكلم فيها عن البخل (٥):

بخيل يصوم أضيفه ويبخل عنهم بأجر الصيام

يدس الغلام فيولهم جفاء فيشتم مولى الغلام

فهم مفطرون ولا يطعمون وهم صائمون وهم في أثم

فيحتال بخلا لان يفطروا على رقت القول دون الطعام

لقد جاء باللوم من فسه وتم له البخل كل التمام

(١) ديوان ابو نواس برواية الصولي، تحقيق الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي ساعدت جامعة بغداد على طبعة، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٤٠٠ هـ_ ١٩٨٠ م، ص ٦٧٩.

(٢) ديوان ابن الرومي، ابي الحسن علي بن العباس بن جريح، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ_ ٢٠٠٣، ج ٦، ٢٢٤٣.

ويحدثنا الشاعر عن البخيل الذي يرغم ضيوفه على الصيام قهرا ثم لا يقوم بأفطارهم فهو يبخل مرتين مره حين لا يطعمهم وقت الافطار ومره يبخل ومره اخرى حين يبخل بأجر صيامهم الا ان البخيل يقوم بأفطارهم على طريقته الخاصة وذلك حين يبعث لهم غلاما فيعاملهم بجفاء فيشتمون مولاه البخيل وبذلك يصبحون فاطرين بغير طعام وصائمين من غير اجر وهم في الاثم واقعون وبذلك التصرف احتال البخيل عليهم ودفعهم الى الافطار بالكلام السيء الذي تفوهوا به من دون الطعام و بالطريقة هذه يكون البخيل قد تخلص منهم من ناحيه اطعامهم اذ جعلهم يصومون ولا يفطرون لديه الا على بذئي الكلام.

الخاتمة

- البخل هو ظاهرة اجتماعية كانت ولا تزال تعد في عرف المجتمعات العربية والاسلامية من ارذل الصفات.
- زخرت دواوين الشعراء في العصر الجاهلي وما بعده بتمجيد الكرم وذم البخل، فالممدوح بحر هائج ونهر دقاق وغيث منهمر.
- القبيلة نفتخر بأنها موطن الكرم والسخاء، وملاذ المحتاجين والبؤساء، وبالمقابل فإن البخل عار على الفرد والقبيلة.
- برزت في العصر الجاهلي مجموعة من العيوب التي اصطلح الناس عليها، وعدت في اعرافهم من المعاييب التي تنقص من قيمة الانسان، وقد ابرزها الشعراء في قصائدهم الهجائية، وظهر جليا اثرها على المهجو، ومن هذه الصفات الجبن والنكوص عن مواجهة الخصوم.
- عد البخل من اقبح الصفات الانسانية لدى المجتمع العربي الجاهلي، وصفه الانانية، وصفه الكسل وغيرها من الصفات.
- مع بزوغ فجر الاسلام، وما ضمه القرآن الكريم والسنة النبوية من آيات وأحاديث تنفر من البخل وتحث على الجود، بدأت مظاهر هذه الآفة بالانحسار.
- في العصر الاموي تصد الشعراء للبخل والباخلين، وفي العصر العباسي تعددت اشكال البخل شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات.

المصادر والمراجع

- الاخل: غياث بن غوث : الديوان، تحقيق مهدي ناصر الدين، ط، ٢بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ص١٦.
- الاصبهاني: الاغاني، ١١٤/١٧_١١٥.
- الاصبهاني: الغاني، ٢/١٦٥.
- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، احمد علي دهمان دار_ طلاس للدراسات والترجمة والنشر_ دمشق_ ط١_ ١٩٨٦_ ص٢٦٩_ ٢٧٠.
- الغموض في الشعر العربي: إبراهيم رماني_ ديوان المطبوعات الجامعية_ الجزائر د. ت ص ٨٥.
- القران الكريم.
- بهجه المجالس، القرطبي، يوسف بن عبدالله ، تحقيق محمد مرسي، بيروت دار الكتب العلمية، ط١٩٨١، ٢ج، ١ص ٢٠٤.
- خزانه الادب لسان العرب البغدادي، عبد القادر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط، ٤القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ص١٦٥.
- ديوان ابن الرومي، ابي الحسن علي بن العباس بن جريح، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٣٢٤هـ_ ٢٠٠٣م، ج٦، ٢٢٣٤.
- ديوان ابو الطيب المتنبي، ص ٩٥.
- ديوان ابو العتاهة، ص ٦٢.
- ديوان ابو العتاهة، ص ٦٣.
- ديوان ابو نواس برواية الصولي، تحقيق الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي ساعدت جامعة بغداد على طبعة، دار الرسالة الطباعة بغداد ١٤٠٠هـ_ ١٩٨٠م، ص٦٧٩.
- ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين، ص ٦٥ ، مكتبه الآداب الجماميز، المطبعة النموذجية اسودا جمع اسود وهو نوع قاتل من الحيات.
- ديوان البحتري، ص٦٧.

- ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم تحقيق د. سعود محمود ص، ٩٢ ط (١) ١٩٨٤ مؤسسه الرسالة بيروت لبنان ذو عيال يعني الوفود من الاضياف والطلاب من العشيرة والجيران تهمني تفلقتي تخزيني رزوها ومصابها الزكي النامي.
- ديوان بشار بن برد، ص ٢٧٠.
- ديوان حاتم الطائي، شرح يحيى بن مدرك الطائي، تحقيق د. حنا نصر الجتي، ص ٤٦.
- ديوان عروة بن الورد والسموال، دار صادر بيروت لبنان ص ٢٩.
- ديوان علي ابن ابي طالب (عليه السلام).
- ديوان علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، شرح عبد الرحمن المصطفاوي، ط ١، بيروت دار المعرفة، ص ١٢٨.
- ديوان علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، ص ١٢٧.
- ديوان محمد الوراق، ص ٣٠.
- شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة: الدكتور عبد الكريم الاشر، دمشق ١٩٦٤م، تاريخ المقدمة، ص ٢.
- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل، ص، ١٥٨٨ حديث الرقم، ٦٣٧٠ ط ١، ٢٠٠٢م، دار ابن كثير دمشق.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن محمد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (١٠/٤٥٧)، ط (١) المكتبة السفلية القاهرة.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، (١/٣٣٢) مادة (بخل)، ط (٣) ١٩٩٩م، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.
- مفردات اللفاظ القران، الزاغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (١٠٩/١)، ط (٤) ٢٠٠٩م، دار القلم دمشق.
- موسوعة الدرر السنوية المشرف العام عليوي عبد القادر السقاف، موسوعة الأخلاق.